

الدولة الشيوعية - دراسة مقارنة -

الدكتورة مذكور الخامسة

كلية العلوم الإسلامية

جامعة باتنة 1

ملخص

التيوقراطية شكل من أشكال الحكومات القديمة، تبنى على فكرة تأليه الحاكم، وبالتالي عدم مسؤوليته تجاه الشعب، الذي عليه إطاعته طاعة عمياء، وعدم مناقشته في أمور الدولة، وقد نجم عن ذلك إساءته في استعمال السلطة، أعقبته العديد من الثورات التي تنادي بإسقاط هذا النموذج من الحكومات، وإبعاده من الساحة السياسية، مخافة تكرار التجربة المريرة التي عاشتها البشرية لسنوات طوال.

Abstract :

Theocracy is a form of old government, based on the idea of deification of the ruler, and consequently his irresponsibility towards the people, who must obey him blindly and not discuss it in the affairs of the state. From governments, and his removal from the political arena, for fear of repeating the bitter experience that humanity has lived for years

إشكالية الدراسة: إن السؤال الجوهرى الذى تطرحه الدراسة هو: هل يمكن اعتبار الدولة الإسلامية دولة ثيوقراطية؟ وقد تفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية لعل أهمها:

. مالمقصود بالدولة الثيوقراطية؟

. ماهي أصنافها؟

. هل يمكن تقبل فكرة عودة هذا النموذج؟

أهمية الدراسة: برزت أهمية هذه الدراسة من خلال بيانها لأهمية الإسلام في بناء ركائز الدولة القوية التي قامت في عهد الرسول صل الله عليه وسلم، وكذا الخلفاء الراشدين من بعده.

فرضية الدراسة: تفترض هذه الدراسة، أنه على الحاكم إتباع كتاب الله ،وسنة رسوله في تسيير شؤون الدولة، حتى لا توصف الدولة التي يقيمها بأنها دولة ثيوقراطية.

خطة الدراسة: معالجة الإشكالية المطروحة ستكون بإذن الله تعالى وفقا للخطة الآتية:

. مقدمة

. أولا: الدولة الشيوقراطية.

1 . قيام الدولة الشيوقراطية.

2 . أصناف الدولة الشيوقراطية.

3 . نهاية الدولة الشيوقراطية.

. ثانيا: الدولة الدينية/ دولة الأنبياء.

1 . خصائص دولة الأنبياء.

2 . نهاية دولة الأنبياء.

ثالثا: الدولة الإسلامية.

1 . مفهوم الدولة الإسلامية في العصر الحديث.

2 . خصائص الدولة الإسلامية.

رابعا: الفرق بين الدولة الشيوقراطية وغيرها من الدول.

1. الفرق بين الدولة الإسلامية والدولة الشيوقراطية.

2 . الفرق بين الدولة الدينية ودولة الشيوقراطية.

. خاتمة

منهج الدراسة: تتطلب معالجة الإشكالية التي تطرحها هذه الدراسة ،توظيف العديد من المناهج أهمها المنهج التاريخي،الوصفي ،الإستقرائي مع الإستعانة بآلية التحليل.

الكلمات الدالة: الثيوقراطية، الدولة الدينية، الدولة الإسلامية، رجال الدين، الكهنة، القساوسة، السلطة، الحكومة، الدولة، دولة الكهنوت، الحكم، الحاكم، الكنيسة، البابا، السيادة، الخليفة.

مقدمة:

تعرف السلطة بأنها قوة في خدمة فكرة، فقد تكون هذه الأخيرة عسكرية، اقتصادية أو دينية، وأيا كانت الأهداف التي تخفيها وراء تلك الأفكار، فإنه ولكي تنجح في تحقيقها لا بد من إخضاع المحكومين لها بل ورضاهم بها، وهذا من منطلق أن السلطة هي علاقة أمر وطاعة وشرعية¹، لذا نجد أنها وعلى مر العصور، وفي محاولة منها لتبرير أعمالها وإيجاد الأساس الشرعي الذي تقوم عليه، قد اتخذت أشكالاً عديدة قامت في معظمها على جملة من النظريات اختلفت باختلاف المجتمعات، وعلى مر العصور صادفنا نماذج من الدول منها ما قام على أسس رأسمالية، وآخر على أسس تعاونية، ولعل النموذج الذي أثار جدلاً كبيراً وأسأل الكثير من الحبر هو ذلك القائم على أسس دينية، وعلى اعتبار أنه أقدم النماذج التي نظمت الحياة الجماعية في المجتمعات القديمة، فإنه يعد أيضاً أحد النماذج التي تسعى بعض التيارات السياسية إلى اعتماده من جديد، كونه النموذج الذي يستقطب أكبر عدد من الأصوات وينقاد له المحكومين بسهولة، بدليل أنه ولفترة طويلة من الزمن قامت عليه ممالك وإمبراطوريات دون أن يكون لها منازع (القيصرية، الكسروية، الفرعونية،...)، لولا مبالغتها في ممارسة أشكال شتى من الاضطهاد جعل التخلص منها أكثر من ضرورة، ويعرف هذا النموذج بالدولة الثيوقراطية، فما المقصود بها؟ ما هي أصنافها؟ ولعل أهم سؤال يطرح على واجهة البحث هو: هل يمكن تقبل فكرة

1- سليمان عصام، مدخل إلى علم السياسة، طبعة 4، بيروت، 1996، ص 165.

عودة هذا النموذج مرة أخرى خاصة في عصر بلغت فيه الأمم كامل رشدتها؟ هل يمكن اعتبار الدولة الإسلامية دولة ثيوقراطية ؟ وهل الثيوقراطية دوعماتية؟

أولاً: الدولة الثيوقراطية

الثيوقراطية هي شكل من أشكال الحكومات القديمة، يحكم فيها الدولة قسيس أو كاهن أو مجموعة قساوسة، ويكون فيها لرجال الدين سلطة في الأمور المدنية والدينية، وقد جاءت الثيوقراطية من كلمتين يونانيتين هما: (ثيو) وتعني الرب، و(قراط) وتعني الحكم والسلطة، وبالتالي فهي حكم الرب الذي يمارسه وزراؤه، وباعتبار أنها حكم الله التي يمارس فيها الحكم وزراء الله¹، ففي هذا النمط من الحكم تدعي السلطة القائمة أنها تستمد شرعيتها من الله، ويدعي الحاكم أنه يحكم باسم الله، وبالتالي له أن يلغي جميع أشكال الشرعية السياسية، بحجة الاستجابة للإرادة الإلهية، ويكون الناس مجبرون على الطاعة العمياء لهذه السلطة من منطلق الحق الإلهي.

1 . قيام الدولة الثيوقراطية

يرجع تاريخ إنشاء الدولة الدينية، إلى قسطنطين الأول حاكم روما، الذي اعتنق النصرانية بتأثير من أمه هيلانة، التي كانت بنت كنيسة القيامة في القدس، إذ قام بتحويل روما من دولة وثنية إلى دولة دينية نصرانية، وبذلك قضى على الظلم الذي كان يتعرض له النصرانيون في روما الوثنية باتخاذ جملة من الإجراءات لصالحهم، ومن ذلك رفع العقوبات والضرائب عنهم، لكن وبتزايد نفوذ رجال الدين تمكنوا من فرض سيطرتهم على الناس باسم الدين، ونشير في هذا الباب أن البابا (نيقولا الأول) أصدر بياناً أعلن فيه عن أن البابا هو ممثل الرب في الأرض، وهو وريث عيسى عليه السلام ويجب أن يكون له السيادة

1- مهدي عادل، الديمقراطية والثيوقراطية - رؤية نقدية - مركز فلسطين للدراسات والبحوث، طبعة 1، سنة 1988، ص 4.

المطلقة على الحكام والمحكومين، من هنا نشأت الدولة الدينية النصرانية¹، والتي كانت فيها للكنيسة الكلمة الأولى والأخيرة، إذ جعلت من البابا ربا يعبد ويخافه الناس أكثر من خوفهم من الله، فكان له حق سن القوانين، وكذا حق إلغائها، فبعدها كانت الكنيسة تحرم الأوثان، أصبحت تقدر تماثيل عيسى وأمه مريم عليهما السلام، أحلت الخمر والخنزير بعدما كانا محرمين، كذلك سنت العديد من القوانين الاقتصادية الجائرة، فزادت الضرائب على الناس، وضمت الكثير من الأراضي إلى الكنيسة، بحجة أن عائداتها تصرف على الفقراء، وفرضت ضريبة العشور على المواطنين، كما جعلت يوم الأحد يوم عمل بالكنيسة بدون مقابل، وهذا على المستويين الديني والاقتصادي، أما على المستوى الفكري، فقد اعتبرت الكنيسة أن أي فكرة أو معلومة أو تعبير لم يصدر عنها، كفر وإلحاد كما حدث مع نيوتن، ويستحق الموت والحرق وهو ما فعلته مع جاليليو.

ولإحكام قبضتها فرضت عقوبات جد قاسية على المخالفين سواء بصفة انفرادية كإحراقهم أحياء...أو بصفة جماعية كمنعهم من الصلاة بالكنائس...

ورغم كل هذا القهر، إلا أن الأشخاص وبدافع نيل رضا الآلهة، كانوا يتسابقون ويتقربون إليها بشتى الطرق، ويقدمون في سبيل ذلك الهدايا النفيسة، وإن صدر منهم ما يغضبها سارعوا إلى طلب المغفرة بشراء صكوك الغفران، وكان هذا قمة الولاء والخضوع.

كانت هذه هي الدولة الدينية التي سادت أوروبا في عصر الظلمات، أما مصطلح الشيوقراطية والذي هو أيضا يعني دولة يحكمها رجل له سلطة مطلقة، يشرع ما يشاء وكلامه يعتبر أوامر إلهية، فإن أول من استعمله هو: (جوزيفوس فلافيوس)، في القرن الأول الميلادي، عندما أراد أن يصف الحكومة القائمة عند

1- أبي نسيبة المقدسي، الدولة الإسلامية والدولة الشيوقراطية الأوروبية، لا سواء، فرسان البلاغة للإعلام، قسم الدعوة والبلاغة يوليو 2012.

اليهود، قائلا: " أن اليونان عرفوا ثلاثة أصناف من الحكم وهي: الأرستقراطية، الملكية والفوضوية، بينما يتبنى اليهود نظام فريد من نوعه، ويمكن اعتباره نموذج رابع، لأنه يقوم على أن ما يقوله الله في كتابه المقدس فهو فقط مصدر الحكم"، وتتمثل الدولة الثيوقراطية في ثلاث أصناف، يقوم كل صنف على نظرية محددة، ومعرفة تلك النظريات يبين لنا حدود السلطة في كل صنف كما سيتبين لنا من الآتي:

2. أصناف الدولة الثيوقراطية

أ. الدول التي تستند فيها السلطة إلى نظرية الطبيعة الإلهية للحاكم، وقد استخدمت هذه الدول هذه النظرية لتبرير سلطة الحاكم، وضمان خضوع الرعية لهم، وهوما جعل الحكام

في ظل تلك النظرية يتمتعون بسلطة مطلقة، لا تلقى من المحكومين إلا الخضوع والاستكانة¹، لذا لم تكن هناك حاجة إلى وجود قواعد قانونية مكتوبة أو مفصلة بل وجودها قد يؤدي إلى تقييد سلطة الملك التي كانت مطلقة.

ب. الدول التي تستند فيها السلطة إلى نظرية الحق الإلهي المباشر، في هذه الدول الحاكم ليس إله، إنما هو بشر يستمد سلطته من الله عز وجل، وبذلك لا يجوز عصيانه ولا مساءلته، فالملك لا يسأل أمام الشعب بل يسأل أمام الإله الذي اختاره.

ج. الدول التي تستند فيها السلطة إلى نظرية الحق الإلهي غير المباشر، وفقا لهذه النظرية فإن الحاكم يتم اختياره بواسطة الأفراد، وبتوجيه من العناية الإلهية، هذه النظرية تقترض أن الحاكم قد تم اختياره من قبل الله عز وجل، بطريق غير مباشر، فالله قد حرك الأحداث ووجه إرادات الناس ورتب

1- غسان سليم عرنوس، القيود على السلطة في ظل النظريات الدينية، دراسة مقارنة بين النظريات الثيوقراطية، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27، العدد 3، سنة 2011، ص 578.

الوقائع، ولكن بطريق غير مباشر ليتم اختيار هذا الحاكم بالذات¹، إذا الحاكم ممثل لله ولا يجوز الخروج على أوامره وطاعته واجب ديني وفي ذلك يقول أغسطين: " أن الحاكم الأعلى في الدولة هو الله، وهو الذي يملك جميع السلطات وينظم كافة الإمبراطوريات والممالك ".

إن هذه النظريات قد وجدت تطبيقات لها على مر العصور، فكانت مملكة فرعون الأنسب للنظرية الأولى إذ يقول تعالى: ﴿ إذ قال فرعون أنا ربكم الأعلى﴾ (سورة النازعات الآية 24)، وكانت فرنسا في عهد الملك لويس الرابع عشر، الأصديق على النظرية الثانية، التي سادت في القرنين 17، 18 م²، إذ كتب لويس الرابع عشر في مذكراته أن: "سلطة الملوك المستمدة من تفويض الخالق، فالله لا الشعب مصدرها، وهم مسؤولين أمام الله وحده على كيفية استعمالها، أما النظرية الثالثة يمكن إسقاطها على ألمانيا النازية، إذ وفي الخطاب الذي ألقاه (أدولف هتلر) زعيم النازية بتاريخ 1939/04/28 م، إشارة إلى هذه النظرية عندما يقول بأنه: " يشكر الله عز وجل الذي اختاره ليكون فوهرر "³.

ما يمكن الخروج به من خلال هذه النظريات، أن جميعها قد تبنى فكرة عدم مسؤولية الحاكم أمام الشعب، وقد نجم عن ذلك إساءة في استعمال السلطة، أعقبته ثورات تنادي بالابتعاد عن نموذج الدولة الدينية، والتي انتهت من الساحة السياسية، فكيف كانت نهايتها ؟

3 . نهاية الدولة الشيوقراطية

1- ليلة محمد كامل، النظم السياسية، الدولة والحكومة، دار الفكر العربي القاهرة، طبعة 1971، ص 185.

2- طعيمة الجرف، نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية، نظم الحكم، دار النهضة العربية، 1997، ص 47، 48.

3- غسان سليم، المرجع السابق، ص 583.

إن الوضع الذي آلت إليه أوروبا من جراء استبداد الكنيسة، دفع بدعاة الإصلاح إلى التفكير في تحرير الشعوب من طغيان رجال الدين، فكان أن نجح الفيلسوف الإيطالي (مارسيلوس) الذي دعا في مؤلفه الشهير (المدافع عن السلام) ، إلى تفويض سلطة الكنيسة وتبني مفهوم دنيوي للدولة، ورفضه لوجود أي صلة بين وظيفة الكنيسة ووظيفة الدولة، يكون قد حطم توليفة العالم المسيحي لوحدة الروح والجسد¹، وأكد على أن وظيفة الكنيسة يجب أن تنحصر في الوعظ وإقامة القداس والشعائر، أما أمور الدنيا فيجب أن تتخلى عنها لصالح الدولة، وقد ساهمت هذه النظرية في ظهور حركات أخرى منها الحركة البروتستانتية بقيادة مارتن لوثر، والذي تبني فكرة إبعاد الكنيسة عن المساهمة في مراسيم التنصيب لكي لا تضفي الشرعية على الحكام الفاسدين، وكانت هذه الفكرة النواة التي شكلت نهاية الدولة الشيوقراطية في الغرب، وبهذا يمكن القول أن عوامل القضاء على هذا النموذج وباختصار هي :

أ. عوامل انقضاء الدولة الشيوقراطية

- ردود الأفعال على سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على السلطة السياسية، وتدخلها في تنصيب الحكام، وعزلهم وتقييد حياتهم الشخصية.
- نشوء الديكتاتورية والاستبداد السياسي، بفعل سيادة نظرية الحق الإلهي المقدس للملوك مما أدى إلى ظهور ردود أفعال مضادة، من قبل الإقطاع الذي سعى إلى الحصول على نصيب من القرار السياسي، وكذا الطبقة البورجوازية والعاملة، اللتان سعتا بدورهما للحصول على نصيب اقتصادي وسياسي.

1- شاهر إسماعيل الشاهر، المواطن ما بين الدولة الدينية والدولة المدنية (قراءة في العلاقة بين السلطة والمجتمع) مقاربات في التربية والمجتمع ،مجلة نقد وتنوير، إصدار خاص، فبراير 2015.

- مخلفات الفكر الكنسي المتمثل في الحروب الصليبية، باعتبارها حربا مقدسة ضد المسلمين، والحروب الاستعمارية، باعتبارها مرتبطة بالتبشير الديني المسيحي.

- الحروب القائمة بين الكاثوليك والبروتستانت، خصوصا في ألمانيا 1618 . 1648، وحرب الثمانين عاما بين إسبانيا الملكية وهولندا¹ وانتهت بمعاهدة وستفاليا التي أقرت مبدأ السيادة، وعدم تدخل الممالك الأوروبية في شؤون بعضها البعض، وقامت على هذا الأساس الدولة القومية التي تضع قوانينها على أساس حق المواطنة، بغض النظر عن الدين ومهدت بذلك الطريق أمام ظهور نظريات كبرى، وبروز رؤى علمانية أكثر جسارة في هدم الأساس الديني للسلطة السياسية²، ومن هذه النظريات، نظرية العقد الاجتماعي لـ (هوبز وجون جاك روسو)، والتي كان مضمونها أن الدولة ليست من خلق الله وإنما جاءت نتيجة عقد بين الناس.

ب . آثار انتهاء الدولة الشيوقراطية

إن انتهاء الدولة الشيوقراطية خلص البشرية من استبداد الكنيسة، فلم يعد لها سلطان بعد ذلك، إلا أن الواقع يكشف عن عودتها في ثوب جديد، كما هو الحال في إسرائيل، إذ لا تزال للحاخامات كلمة مسموعة في البرلمان، وتمثل الفاتيكان الدولة الشيوقراطية بوضوح حيث يقوم مجمع الكرادلة، وهو تجمع لرجال الدين الكاثوليك، ويكون البابا رئيسا ينتخب لفترة تمتد لمدى حياته، وبحق فقط للكرادلة انتخابه، يعين البابا وزيرا للخارجية والمسؤول عن العلاقات الدولية، والقانون بالنسبة لهم هو إملاءات البابا واجتماعاته مع رجال الدين، إضافة إلى هذه التجارب نشير أيضا إلى ما هو قائم لدى بعض المرجعيات التي اتخذت

1- شاهر إسماعيل شاهر، المرجع السابق، ص 6.

2- المرجع نفسه، ص 7.

الدين رداء لها سواء كان هذا الدين غير سماوي مثل الكونفوشيوسية¹، أو سماوي مثل ما هو معمول به في إيران، إذ يتم تعيين فقيه إسلامي ويكون ذا مرتبة علمية وفقهية رفيعة، في منصب القائد الأعلى على مدى الحياة ويكون دوره تحديد ما إذا كانت الشريعة القانونية المطبقة مطابقة للشريعة الإسلامية أم لا، إضافة إلى منع الناهبين الذين لا يرى فيهم الأهلية الكافية للترشح، وبذلك فإن التجربة الإيرانية كانت السبب في التخوف من قيام دولة إسلامية من جديد لما تعرفه هذه الدولة من استبداد باسم تطبيق الشريعة الإسلامية، فهل الأمر كذلك بالنسبة للدولة التي قامت بمجيئ الأنبياء صلوات الله عليهم جميعا ؟

ثانيا: الدولة الدينية /دولة الأنبياء

وهي دولة تعرف على أنها ذلك الصنف، الذي كان الحكام فيه أنبياء الله، وبالتالي فهي نوع خاص قام بها الأنبياء لضرورات إيصال رسالتهم الربانية إلى البشر، كان فيها تواصل

بين هؤلاء الأنبياء وربهم خطوة بخطوة، وعليه لم يكن هناك إمكانية لمحاسبة الأنبياء على قراراتهم لأنها من الله تعالى، وهي دول عدل ومساواة وحقوق تخلو من الطغيان والإضطهاد، ومن تلك الدول دولة سليمان، دولة داود، صلى الله عليهم جميعا، كما أن محمد عليه أفضل الصلوات أقام دولة دينية عمادها ثلاث أسس هي: العدل والبيعة والمعروف، وكانت هذه الدول جميعها تتفرد بمجموعة من الخصائص هي :

1 . خصائص دولة الأنبياء

أ . أن الحاكم فيها رسول يوحى إليه من قبل الله تعالى، ويحاط بعنايته، ويمده بمدد لا تنقطع ويسخر له كل شيء، فقد سخر الريح العاصفة، والشياطين الغواصة لسليمان، وأمد محمد صلى الله عليه وسلم بكتيبة مسلحة من الملائكة

1- غسان سليم، المرجع السابق، ص 15.

بقيادة جبريل عليه السلام، في غزوة بدر، وأرسل طيرا أبابيل ترمي أبا جهل وزوجه بالحجارة...

ب. أن طاعة الحاكم في هذه الدولة فرض ديني: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر7)، لأن الحاكم اصطفاه الله عز وجل وأيده بكتاب هو دستوره، فقد أنزل القرآن على محمد، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والتوراة على موسى وهذه الكتب تمنح الحاكم القداسة، وتجبر المحكومين على الطاعة والاستسلام.

2. إنتهاء دولة الأنبياء

إن هذه الخصائص تجعلنا نقول أن هذا النموذج من الدول الدينية، انقطع بانتهاء زمن النبوة ولا يمكن القول بأن الدول التي أقامها الخلفاء هي أيضا دول دينية بالمفهوم السابق، بل هي دول إسلامية شعارها تطبيق شريعة الله، فما هي هذه الدولة بالتحديد ؟

ثالثا: الدولة الإسلامية

عرف التاريخ السياسي للإسلام، بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نظام الخلافة بوصفه شكلا جديدا للحكم، وقد تميزت الدولة في عهد الخلفاء الراشدين (632 . 658 م) بالتداخل بين الدين والدنيا، إلا أن الجانب الديني هو المهيمن لأن الوظيفة الأساسية لهذه الدولة هي نشر الإسلام في أرجاء المعمورة، وتحرير البشرية من ظلمات الجهل.

والدولة الإسلامية، التي أقامها الخلفاء من بعد خاتم الأنبياء، محمد صل الله عليه وسلم كان قوامها الأسس والمبادئ الأخلاقية التي تربي عليها المسلمون، على يد أشرف الخلق سيدنا محمد صل الله عليه وسلم، لتكون الدولة الإسلامية من هذا المنطلق هي الدولة التي يحكم فيها الشعب نفسه بنفسه، استنادا إلى منظومة القيم والأخلاق الإسلامية، وليست تلك التي تحكمها بعض

المعايير كجواب أن ينص دستورها على أن الإسلام هو دين الدولة ،أو أن يكون أكثر من نصف سكانها مسلمون وغير ذلك من المعايير الحديثة وهوما يجرنا إلى الحديث عن مفهوم الدولة الإسلامية في العصر الحديث.

1 . مفهوم الدولة الإسلامية في العصر الحديث

إن مفهوم الدولة الإسلامية عند فقهاء العصر الحديث ،يقصد بها سيطرة الحزب السياسي الذي يستمد برنامجه الاجتماعي من الإسلام ، أو يجعل الإسلام مرجعا رئيسيا أو وحيدا في القيم العامة التي يستلهمها¹ ، بغية تحقيق أقصى درجات العدل ، خاصة بعد ثبوت فشل الأنظمة القائمة وتقهقر ، الدول الإسلامية مقارنة بما حققت في بداية نشأتها ،أي في عهد الخلفاء الراشدين ، من هذا المنطلق وعلى امتداد وطننا العربي وعالمنا الإسلامي ، ارتفعت أصوات كثيرة لأحزاب ،وجماعات وجمعيات إسلامية شكلت تيار المعارضة في حركة الصحوة الإسلامية ، منادية بضرورة قيام السلطة الدينية ، والدولة الدينية والنظام الديني وصبغ مؤسسات الدولة بصبغة الدين ، أو هكذا تبدوا دعواتها في نظر الآخرين² ، وقد نجم عن ذلك الوضع قناعة ، مفادها أن الإسلام هو الحل وأصبح الرأي العام العربي ، يميل في غالبية إلى التأكيد على ضرورة الاعتراف للإسلاميين ، بالحق في الوصول إلى السلطة مثلهم مثل الأحزاب السياسية الأخرى ، خاصة وأن شعارهم هو تطبيق الشريعة الإسلامية وممارسة السياسة بما يقتضيه الإيمان بالله والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، هذا وإن كان يبدوا للوهلة الأولى مقبولا لحاجتنا لذلك ، إلا أن الأمر يتطلب الكثير من الحذر إذ أن المشكلة ليست في تطبيق كتاب الله ، وسنة رسوله ، بل المشكلة في الأشخاص الذين يحملون على عاتقهم مسؤولية ذلك ، فهل هم على الدرجة المطلوبة من العصمة ؟ ، وبخاصة أن الواقع

1- برهان غليون، فقه السياسة (الدولة والدين) المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط 2004، 1 م، ص 420.

2- محمد عمارة، الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية ، دار الشروق ، ط 1 ، 2008 ، ص 12.

أثبت فشل معظم المحاولات في هذا الجانب، وكان له الأثر السيئ على الإسلام والمسلمين فأصبح يشار إليهم بالبنان ويتم التعامل معهم بإجحاف، والسبب يكمن في أن معظم من نهج هذا النهج، لم يكن سوى متسربلا بعباءة الإسلام، ولا يمت له بصلة لا من بعيد ولا من قريب، فهم لا يبتغون إلا الوصول إلى سدة الحكم، وتحقيق مصالحهم

الخاصة على حساب الرعية، والحكم بما يتوافق مع أهوائهم، لا مع مصالح الفئة المحكومة، والتجارب التي مرت بها بعض الدول الإسلامية لخير دليل، ونحن بموقفنا هذا لا نشكك في تعاليم الشريعة السمحاء، من حيث عدالتها وشموليبتها، فهي صالحة لكل

زمان ومكان، وشاملة (وما فرطنا في الكتاب من شيء)، لكن المشكلة في وجود ثقافة تسند إليهم هذه المهمة، بعد الخلفاء الراشدين وتابعي التابعين، إذ لم يعد من بعدهم من يتقي الله، ويبتغي مرضاته، من هنا نقول أن الدولة الإسلامية قد تكون أيضا دولة ثيوقراطية، إذا لم يتول زمام الأمور فيها، من يخشى الله ويعمل على نشر كتابه وسنة رسوله ويأخذ بيد الرعية إلى بر الأمان.

2. خصائص الدولة الإسلامية

تتميز الدولة الإسلامية بمجموعة من الخصائص أهمها:

أ - أنها دولة عقيدة ورسالة، لأنها قامت من أجل حفظ الدين، وتطبيق شريعة الله تعالى على الأرض، من هنا كان قيام الدولة الإسلامية ضرورة شرعية.

ب - إقامة الدين وتنفيذ أحكام الشريعة، فالدولة الإسلامية تقوم بتدبير شؤون الحياة ويقول الماوردي (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا) ¹

ج - منع عدوان الناس بعضهم على بعض.

د - حفظ حريات الناس.

صفوة الكلام، وبعد تقديم كل نموذج على حدة، نقول أن الدولة الشيوعية لا يمكن أن تكون دولة دينية، كما أن الدولة الإسلامية لا يمكن أيضا أن تكون دولة دينية، لأن الدولة الدينية هي دولة أنبياء يسيرونها بوحى من الله، وأن الدولة الإسلامية هي الدولة التي أقامها الخلفاء بعد وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام ونهجوا في ذلك نهجه، فهذه فروق جوهرية لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن تجعلنا نخلط بينها، ويضاف إليها فروق أخرى سنأتي إلى تفصيلها فيما يأتي:

رابعا: الفرق بين الدولة الشيوعية وغيرها من الدول

يستند ذوي النفوس الضعيفة وأعداء الإسلام، إلى حجج أقل ما يقال عنها أنها ضعيفة ومجحفة، بغرض إقناعنا بأن هذه النماذج كلها متشابهة، و يجب استبعادها، لأنها قد تعود بالبشرية إلى التخلف الذي عاشته في القرون الوسطى، لذا وجب من باب الأمانة أن نقدم الفروق الرئيسة بين هذه النماذج لنُدحض بذلك كل رأي يقضي بخلاف ذلك.

1. الفرق بين الدولة الإسلامية والدولة الشيوعية

إن القول بوجود أوجه شبه بين الدولة الإسلامية والدولة الشيوعية، هو من قبيل السفسطة لا غير، فالنموذجين مختلفين تماما وفي أكثر من نقطة، لكن لا

1- أبي الحسن علي بن محمد البصري الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، دار الكتاب العربي، ص 29.

بأس في إيراد بعضها من باب سد الذرائع لا غير، ومن أبرز تلك الفروقات ما يأتي :

- الدولة الإسلامية دولة مدنية لا قداسة فيها للحاكم، بينما يتمتع الحاكم في الدولة الثيوقراطية بالقداسة المطلقة.

- الدولة الإسلامية دولة تعتمد مبدأ الشورى كقاعدة لبناء الحكم فيها، بينما لاحظنا تسلط السلطة الحاكمة في النموذج الآخر.

- الدولة الإسلامية هي دولة تفصل بين السلطات، أما الدولة الثيوقراطية فلا وجود لهذا الفصل، فكانت جميع السلطات مركزة في يد الحاكم أو الهيئة الحاكمة.

- الدولة الإسلامية هي دولة المواطنة تتضمن حرية العقيدة " لا إكراه في الدين " كذلك

قوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾، على عكس الدولة الثيوقراطية التي يعد الخروج فيها عن تعاليم الكنيسة كفر، وإلحاد يستوجبان القتل.

2. الفرق بين الدولة الدينية والدولة الثيوقراطية

تعتمد طبيعة الدولة الدينية على نوع الدين التي هي منسوبة إليه، وعلى هذا يمكن أن تكون

إسلامية أو غير إسلامية، وأنواع الدين الذي يمكن أن تنسب إليه الدولة، هي أربعة على الأقل¹، لكن التاريخ عرف نوعان من الدول الدينية وهي:

1. دول قام بها الأنبياء لضرورات إيصال رسالتهم الربانية إلى البشرية.

2. دول أقامها الكهنة على أساس ديني لفرض سيطرتهم على المحكومين.

1- شاهر سليمان شاهر، المرجع السابق، ص 2.

والفرق بين هذين النموذجين واضح وجلي ويظهر في أكثر من موضع ومن تلك المواضع ما يأتي:

- الدولة الدينية أنشأها الأنبياء ولم تكن بأي شكل من الأشكال دول ديكتاتورية، أو تسلطية ولم تمتن كرامة الإنسان، أما الدولة الثيوقراطية، فهي دول الكهنوت وهي ديكتاتورية امتنعت على مر العصور كرامة الإنسان.

- الدولة الدينية سادت في عهد النبوات، وانتهت بوفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أما الدولة الثيوقراطية فنشأت بعد عهد النبوات، وانتهت بالثورة على الكنيسة.

- الدولة الدينية قامت على مبدأ الشورى بدليل أن النبي محمد . صل الله عليه وسلم . كان يقول للناس " أنتم أعلم بأمر دنياكم "، كما أن الحاج بن المنذر سأل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر " أرايت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال فإن هذا ليس بمنزل "، وهو أبلغ دليل على الأخذ برأي الجماعة أما دولة الكهنوت فيسودها مبدأ استبداد رجال السلطة بالرأي.

- الدولة الدينية كانت سببا في التقدم الذي عرفته البشرية لقرون، إذ عرفت بالعصور الذهبية، بيد أن الدولة الثيوقراطية كانت سببا في تخلف البشرية وسميت عصورها بالمظلمة.

- الدولة الدينية كانت سببا في توحيد الأمم ،ولا فرق فيها بين العربي والأعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، أما الدولة الثيوقراطية فكانت تتميز بوجود طبقتين الطبقة الحاكمة وحاشيتها والطبقة المحكومة المستضعفة.

الخاتمة

إن الدولة الشيوعية هي دولة، عرفت في الغرب ونتج عنها صراع مرير بين الدولة والكنيسة ،انتهى بالثورة عليها والتنادي بالصيحة المشهورة "أشنعوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"¹، وهي دولة رجال الكهنوت الذين يصفون على تصرفاتهم العصمة والقداسة فما حلوه في الأرض فهو محلول في السماء وما عقوده في الأرض فهو معقود في السماء، وليس من حق أحد أن يقول لأحدهم أسأت، أو أخطأت، لأنه بهذا يعترض على الله الذي يتحدث باسمه، والذي هو وكيله على الناس²، وبهذا فالدولة الشيوعية هي دولة دوغماتية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال وصف الدولة الدينية التي أقامها الأنبياء بأنها شيوعية، كما لا يمكن وصف الدولة الإسلامية التي أقامها الخلفاء من بعد رسول الله محمد صل الله عليه وسلم بأنها كذلك أي شيوعية، أما غيرها من المحاولات البائسة، التي يقوم بها بعض المتطرفين على الإسلام والذين يحاولون إشعال نار الفتنة، واستغلال بأس الشعوب ويأسها وقلة حيلتها في تغيير الأنظمة الجائرة، بأنهم سيقومون نظاما عماده كتاب الله وسنة رسوله، ويستبيحون من أجل مصالحهم دماء وأعراض المسلمين، بحجة الجهاد في سبيل الله هي دول شيوعية ستستبد لا محالة في غياب الوازع الديني، لذا أقترح في هذا المقام :

- الكف عن إتخاذ الدين الإسلامي ذريعة لكسب الأصوات من أجل الوصول إلى الحكم.

- تهيئة المناخ اللازم لإقامة دولة إسلامية قائمة بذاتها اقتصاديا وثقافيا...ثم الانشغال بهذا الموضوع.

- أن نربي أجيالا تخاف الله في الصغيرة قبل الكبيرة ،علها تستطيع حمل المشعل عن صدق لأنه وكما يقال للمسلمين دائما: أيها المسلمون إذا أردتم

1- يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 56.

2- مرجع نفسه، ص 57.

حاكما مثل عمر كونوا رعية كرعية عمر ،فإنما كما تكونوا يولى عليكم، ويقول تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا لما كانوا يكسبون﴾

قائمة المراجع

القران الكريم

1 . الكتب:

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تقديم وتعليق علي عبد الواحد واحي، دار الفكر العربي مصر، 1994.
- إبراهيم خليل علبان، الدولة الدينية والدولة المدنية، جامعة القدس مؤتمر بيت المقدس الثالث 2012.
- برهان غليون، نقد السياسة والدولة والدين، المركز الثقافي العربي، الدرا البيضاء، المغرب، طبعة 3، سنة 2004.
- خليل عبد الكريم، الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية، سينا للنشر، طبعة 1، سنة 1995.
- عادل مهدي ،الديمقراطية والثوقراطية رؤية نقدية، مركز فلسطين للدراسات والبحوث، طبعة 1، سنة 1988.
- عبد الحميد متولي، القانون الدستوري والأنظمة السياسية مع المقارنة بالمبادئ الدستورية في الشريعة الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية 1993.
- عمارة محمد، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، طبعة 1، 1988.
- غسان سليم عرنوس، القيود على السلطة في ظل النظريات الدينية، دراسة مقارنة بين النظريات الثوقراطية والشريعة الإسلامية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27 سنة 2011.
- طعيمة الجرف، نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية، نظم الحكم، دار النهضة العربية، 1997.

- شاهر إسماعيل شاهر، المواطن بين الدولة الدينية والدولة المدنية، (قراءة في العلاقة بين السلطة والمجتمع)، مقاربات نقدية في التربية والمجتمع، مجلة نقد وتوير، اصدار خاص فبراير 2015.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن حسين البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المطبعة المحمدية، مصر 1985.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن حسين البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتاب العربي بيروت.

- يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، دار الشروق، طبعة 4، سنة 2005.

2. المواقع الإلكترونية:

- طلال مشعل، مفهوم الدولة الدينية، أغسطس 2016

I fille :lllc. /vser/document/desktop/htm

- إبراهيم عثمان، الملقصود بالنووقراطية ؟ والحكم النيوقراطي

https :llmini.facts.com/topics/2490

- جبريل لعبيدي، الشرق الأوسط ،قراءة النيوقراطية

https :llaawsat.com/home/article/794361

- ابراهيم محمد، الدولة المدنية في ظل الإسلام، موقع وزارة الأوقاف والإرشاد، اليمن 2011

http :llwww.sgf-ushard.org/subject/view/34

- أمين حامد زين العابدين، مفهوم الدولة الإسلامية، موقع سودانيل، يوم 2011/11/04م

Sudaress.com /sudamile/33950